A look at the Life of Sheikh Hussein Najaf Tabrizi Najafi; The poet Jurist and the Study of his Poetry

Asst. Prof. Reza Arab Bafrani (Ph.D)
Razavi University of Islamic Sciences/ Department of Arabic Language and Literature / Iran
arabbafrani.135@gmail.com
dr.bafrani@razavi.ac.ir

DOI: https://doi.org/10.31973/zyre6g88

Abstract

Poems are of great importance in recording many important historical events and facts. They said in the past: poetry is the Arab Divan, and the poets recorded their exploits, their days, and their glory in poetry.There is no doubt that Allah has pointed out in the Holy Book to this tribe - the poets - and identified them with the attributes of the good and others of the bad nature. Family of prophets encouraged their Shiites and lovers to write poetry about them, peace be upon them, and many hadiths were received from them urging this matter with the goodness and reward it brings. Therefore, many people paid attention to the poetry collections of the Prophet's family, peace be upon them, including the nation's jurists, as they paid great attention to epistolary poetry. To preserve the exploits of the Prophet and his family, peace be upon them, and to perpetuate their memory, Sheikh Al-Kulayni has a book, *What Poetry Has Been Said about the family of prophets* and Sheikh Al-Mufid has a book, *Mas'a'il Al-Nazam.* There are many scholars and jurists who, in addition to their religious books, have written a book of poetry or composed poetry about the family of prophets, peace be upon them for their love , among them is Sheikh Hussein Najaf Al-Tabrizi Al-Najafi, who was motivated by pure love and pure adoration for them, peace be upon them, to compose a collection of poetry that he wrote heartfully and sincerely for them. What is important in this research, after we have outlined a summary of the poet's life, is to shed light on his scientific and practical status and the artistic and objective characteristics of his poetry.

Keywords: Sheikh Hussein Najaf Al-Tabrizi, his scientific and practical position, poetry collection

إطلالة على حياة الشيخ حسين نجف التبريزي النجفي؛ الفقية الشاعر ودراسة شعره

أ.م.د. رضا عرب البافراني
أستاذ مساعد في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية وآدابها/ مشهد/ إيران
arabbafrani.135@gmail.com
dr.bafrani@razavi.ac.ir

(مُلَخَّصُ البَحث)

إنّ للشعر أهمية بالغة في أن تسجّل كثير من الأحداث والوقائع التاريخية الهامّة، فقد قالوا قديماً: إنّ الشعر ديوان العرب، وقد سجّل فيه الشعراء مآثرهم، وأيامهم، ومفاخرهم. ولا يخفى أنّ الله تبارك وتعالى أشار في كتابه الكريم إلى هذه الطائفة –أي الشعراء– وعرّفهم بأوصافهم الخيرة وغيرها من الطباع السيّئة. وقد شجّع أهل بيت الرسول الأكرم شيعتهم ومحبّيهم على تعاطي الأشعار فيهم (عليهم‌السلام)، وقد وردت منهم أحاديث كثيرة تحثّ على هذا الأمر بما فيه من الخير والجزاء؛ لذلك، قد اهتمّ كثير من الناس لنظم الأشعار في أهل بيت النبيّ (عليهم‌السلام)، منهم فقهاء الأمّة، فإنّهم اهتمّوا اهتماماً بالغاً بالشعر الرسالي؛ لبقاء مآثر النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، وتخليد ذكراهم، فالشيخ الكليني له كتاب (ما قيل من الشعر في أهل البيت) وللشيخ المفيد كتاب (مسائل النظم). وهناك كثير من العلماء الفقهاء الذين قد ألّفوا إلى جانب كتبهم الدينية كتاباً في الشعر أو نظموا في أهل بيت الرسول (عليهم‌السلام)؛ حبّاً لهم. فمنهم الشيخ حسين نجف التبريزي النجفي الذي قد حثّه الحبّ العذري والعشق الصافي لهم (عليهم‌السلام) على نظم ديوان شعرٍ كتبه بمداد القلب وماء العيون فيهم. والذي يهمّنا في هذه المقالة بعد أن بيّنا موجز حياة الشاعر، إلقاء الضوء على مكانته العلمية والعملية والخصائص الفنية والموضوعية في أشعاره.

الكلمات المفتاحية: الشيخ حسين نجف التبريزي، مكانته العلمية والعملية، ديوان الأشعار

المقدمة

إنّ التراث الإسلامي الضخم الذي وصل إلينا من أسلافنا الماضين، جدير بأن نقف أمامه وقفة إكبار وإجلال؛ لأنّ ثروة المخطوطات لدى الأمة الإسلامية هي من أعظم ما خلفته الأجيال السابقة، فهي مؤلفات وضع العلماء فيها خلاصة أفكارهم وتجاربهم وإبداعاتهم القيمة، وهي حافلة بدراسات ذات قيمة في مختلف المعارف والعلوم الإنسانية. فهي تراث الأمم الذي يعكس تطورها فى المجال الحضاري وتقدّمها في العلوم والآداب والمعارف، ويعبر عن أصالة هذه الأمم وعراقتها.

فالمخطوطات تشكل جزءاً مهماً من تراث الأمة الإسلامية، ولكن ظلّ الكثير من هذه المخطوطات –مثلها مثل سائر أنواع تراثنا– مهملاً منسياً، ولم يحقق منه إلّا النزر اليسير. ولا شك أنّ هذه الظاهرة النبيلة –أعني ظاهرة تحقيق المخطوطات– جديرة بالتنويه والتقدير، لأنّ نشر المخطوطات، إنما هو إحياء للتراث، وبالتالي هو التفاتة واعية للماضي وفهمه، من أجل بناء مستقبل سليم.

ديوان الشاعر الكبير والفقيه الورع؛ الشيخ حسين نجف التبريزي النجفي هو جزء هامّ من هذا التراث المنسيّ، لأنّ ما جادت به قريحة هذا الشاعر جدير بالإحياء والدراسة لأنه يتضمن معاني سامية في خير خلق الله؛ محمد وأهل بيته (عليهم‌السلام). ما يهمّنا في هذا المقال –بعد أن تطرقنا إلى حياة الشاعر– هو بيان مكانته العلمية والعملية وبعد ذلك بيان الخصائص الفنية والموضوعية في أشعار الشيخ حسين نجف التبريزي التي تُعَدُّ بحقٍّ موسوعة عقائدية، فهي بحرٌ زاخر تتلاطم معانيه كالأمواج.

أ–ترجمة الشيخ حسين نجف التبريزي –قدس‌سره– ١١٥٩ هـ – ١٢٥١هـ

اسمه وكنيته ونسبه

أبو الجواد، الشيخ حسين ابن الشيخ محمّد ابن الحاج نجفعلي التبريزي النجفي المعروف بـ"الشيخ حسين نجف الكبير"، إذ سافر الحاج نجفعلي –جدّ المترجم– من تبريز إلى النجف الأشرف واستقرّ بها، ويُعرف بيته فيها بـ"النجف" انتساباً إليه. (الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٧)

ولادته

ولد الشاعر عام ١١٥٩هـ في مدينة النجف‌الأشرف. (الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٧(ويصادف تاريخه "غلام حكيم". (السماوي، الشيخ محمد، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، : 1 ٢٨٠).

من أساتذته

تتلمذ الشيخ على أيدي أساتذة علماء منهم: السيّد محمّد مهدي بحر العلوم. (الشاكري، الحاج حسين، ١٤١٨ق، ٤ : ٣٩٢) يقول علي الخاقاني: "والحقّ أنّه (السيد مهدي بحر العلوم) مدرسة مستقلة بطريقتها ومناهجها، فقد أخذ عليه العلم جهابذة عصره ولم يفلت منهم أحد، وأظهر من عرفنا من تلامذته: ١-الشيخ جعفر صاحب كاشف الغطاء ٢- الشيخ حسين نجف ٣-الشيخ أسد الله التستري صاحب (المقابيس)، و.. وهؤلاء الذين ذكرناهم والذين هم جزء من كل ممن جهلهم التدوين قد تزعّموا كلّهم واشتهروا جميعهم، وكل منهم أوجد جيلاً وبعث أمة قد بجل السيد وعظّمه، وانحنى صاغراً له". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ١٢ : ١٤٠)

من تلامذته

قرأ عليه السيّد جواد الحسيني العاملي، صاحب "مفتاح الكرامة" وغيره من العلماء .(الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٨)

من مؤلّفاته

كان العلامة الشيخ حسين نجف مقلّاً في الكتابة، ولم يصدر له من المؤلفات إلّا القليل، قياساً لأعلام عصره، وكتبه هي:

١- ديوان شعر خاصّ بالأئمّة (عليهم السلام).

٢- الدرّة النجفية في الردّ على الأشعرية – مخطوط – في مبحث الحسن والقبح، رتّبه على ثمانية أبواب بعدد أبواب الجنة، وقد سئل: هل لك غير هذا التأليف؟ فقال: هذه بيضة ديك. (الأمين، السيد محسن، بـت، ٦ : ١٦٨)

وفاته

تُوفّي –قدس سره– ليلة الجمعة في الثاني من المحرّم ١٢٥١هـ في النجف الأشرف، ودُفن في الحجرة الواقعة في الصحن الحيدري للإمام علي (عليه السلام) من جهة باب القبلة. (حرز الدين، الشيخ محمد، ١٤٠٥ق، ١ :٢٦٢، الخاقاني، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٦)

ب–مكانته العلمية والعملية

عندما نلقي نظرة على سيرة هذا الشيخ الشاعر فإنّنا نقف أمام شخصية استثنائية، استطاع بفضل ما أُوتي من ملكات علمية ونفسية أن ينال من كلمات الثناء والتقدير والإعجاب ما لا تجده في غيره إلّا القليل. قال السيد محسن الأمين نقلاً عن محمد طه نجف سبط الشيخ حسين نجف: "كان الشيخ حسين نجف عين الأعيان ونادرة الزمان سلمان عصره، كان مثلاً في التقوى والصلاح وطهارة النفس وكان من أظهر أوصافه السكوت وإذا تكلم لم يتكلم إلا بكلمة حكمة أو آية أو رواية". (الأمين، السيد محسن، بـت، ٦ : ١٦٧)

وكان يطيل في صلاته جداً حتى أحصى عليه سبعون تسبيحة في الركوع ومع ذلك كان الناس يتهافتون على الصلاة خلفه، وكان مسجده هو المسجد الجامع الأعظم وهو معروف بمسجد الهندي وكان يمتلئ على سعته فربما جاء المصلّي فلا يجد مكاناً وكان العلماء في المصلين أهل الصف الأول وكانت صلاة الجماعة في زمانه مختصة به. (الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٧)

" وكان –قدس‌سره– أعجوبة في الصبر والثبات والإيمان حتى اشتُهر عنه ذلك وكان إذا اختلفت الأحوال من ضيق أو رخاء أو عافية أو بلاء لا يبين عليه أيّ أثر لضُرٍّ أو إقتار، وما كانت تنتاب النجف أهوال من خوف أو طاعون فتفترق الناس وتذهب إلى نواحٍ شتّى حذار الهلكة، وإذا قيل له: هلّا تنفر مع القوم؟ قال: انظروا إلى المئذنة هل نفرت، فإذا نفرت نفرتُ معها" (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٣)، يعني منارة حرم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد أهلته هذه الصفات العالية ليكون إمام أهل النجف الأوحد، فقد كان يؤم الناس في الجامع الهندي، وكانت لا تفوته إمامة الصلاة، فذكر أنّ ولده الشيخ محمد حسن قد توفّي قرب موعد الصلاة، وأصبح الناس في حزن وبكاء، فأخذ الشيخ حسين عصاه وقصد الجامع الهندي للصلاة بالناس. (آل محبوبه، جعفر بن باقر، ١٣٥٣ش، ٣ : ٤٢٣)

وقد أعطته هذه الخصال الدرجات العالية والمقامات المتعالية ووصف بالثقة الأتقى (آل محبوبه، جعفر بن باقر، ١٣٥٣ش، ٣ : ٤٢٠) وأصبح له في المجتمع النجفي مكانة كبيرة، فكان الناس يتهافتون عليه عند حلول عيد الغدير، ويحضرون المجلس الذي يعقده في هذه المناسبة. (حرز الدين، الشيخ محمد، ١٤٠٥ق، ١:٢٦٠)

وقال علي الخاقاني: "وكان آية في حسن الخلق حتى اشتهر عنه أنّه ما غضب على أحد قط، ولا تكدّر منه أحد، وكان يأنس به القروي والبدوي، والعالم والجاهل، والعالم والفاسق، وله في كلّ ذلك نوايا حسنة ومخارج مستقيمة". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٣)

وقد بلغ مرتبة من التقوى تمنّى معها السيّد مهدي بحرالعلوم أن يصلّي عليه الشيخ حسين نجف، قال الشيخ السماوي: روي أنّ السيد مهدي]بحر العلوم[قال لأخته: إنّي أحبّ أن يصلّي عليّ إذا متُّ الشيخ حسين نجف، ولكن لا يصلّي عليّ إلّا السيد مهدي الشهرستاني الحائري، وأنتِ إذا متِّ صلّى عليك الشيخ حسين نجف، فكان كذلك، فإنّه لمّا توفّي]مهدي بحر العلوم[وحضرت العلماء للصلاة عليه جاء السيّد مهدي (الشهرستاني) من الحائر عائداً فوجده ميّتاً، فصلّى عليه إيثاراً من الحاضرين، ولمّا توفّيت أخته كان الشيخ

حسين نجف مقعداً زَمِناً، فأخبر بوفاتها فأخذته حرارة الألم حتّى نهض فصلّى عليها وعاد، فعاد له مرضه. (السماوي، الشيخ محمد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١ : ٢٧٩)

لطافته وظرافته:

وهذا الرجل الذي بلغ الذروة في الزهد والقداسة والمعرفة، هو أيضاً من أهل الذروة في العلم والأدب، وعلى الرغم من عظمة هيبة الناس له لم يكن بعيداً عن الملاطفة والتندّر. ومن هذه النوادر يُذكر أنّ الشيخ ذات مرّة كان يأكل مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء طعاماً، فسقط اللحم إلى جانب الشيخ جعفر فقال: "عرف الخيرُ أهلَه فتقدّم"، فأجابه الشيخ حسين: "نبش الشيخُ تحتَه فتهدّم". (الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٧)

وقال السيد محسن الأمين -نقلاً عن سبط الشاعر أيضاً- في معرض بيان دماثة خُلُقه ومزاحه وسرعة بديهته: "وكان حاضر الجواب جداً قال له بعضهم: أرى بعينك حَماراً بفتح الحاء يريد احمراراً، فقال: وأنا أرى بها حِماراً بكسر الحاء". وكان يقول لمن يريد أن يستأجره على عبادة: دعني أجس نبضك، أي أختبر قراءتك ومعرفتك بأحكام العبادة، فجاءه رجل فقرأ (إياك نعبد وإياك نِستعين) بكسر النون من نَستعين فقال له الشيخ: "نَس"، فأعادها، فقال له الشيخ: "نِس نِس" أي اذهب عني مختفياً.

وكان يقول في قوله تعالى: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) (التوبة: ٥٨): هذا في ما مضى أما الآن) فإن أعطوا سخطوا وإن لم يعطوا إذا هم يكفرون) . وكان الشيخ عبد الحسين الحويزاوي يفرغ من صلاة الجماعة قبله، فقيل له في ذلك: أما تدرون أنّ الحويزاوي يدرك قبل الشنبة، والحويزاوي والشنبة نوعان من أنواع الأرز. وأعطى مرة رجلاً علوياً دراهم كاملة، فجاءه بعد أيام وهو يظنّ أنه لم يعرف أنّها كاملة، فقال له: يا شيخنا إنها أنصاف، فقال له الشيخ: يا سيّد ما من إنصاف. وكتب إليه بعض علماء الأخبارية كتاباً فيه هذان البيتان:

التـــــتن شـــــيء عبـــــثٌ فيـــــه كثيـــــرُ مَفســـــدَه
فمـــــن رأى تحليلـــــه عليـــــه نـــــارٌ مؤصـــــده

فكتب إليه الجواب فوراً:

التُـــــتْنُ شـــــيء حســـــن فيـــــه كثيـــــرُ منفعـــــه
فمـــــن رأى تحريمـــــه شَـــــدُّوا عليـــــه بَرذَعَـــــه»

(الأمين، السيد محسن، بـت، ٦ : ١٦٧)

ومن أخباره أنّه "كان إلى جانب مسجده حمام، قال له رجل من باب المطايبة: أنت تسمع حركة الأقدام على الطريق وأنت في الركوع فتطيل الركوع لأنّك تظن أنّهم يريدون الصلاة خلفك، وإنما هم ذاهبون إلى الحمام، فقال: نعم أعلم ذلك ولكني أنتظرهم حتى يخرجوا من الحمام". (الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٧)، وحجّ مرّة على طريق الشام ومكث بدمشق برهة فأضافوه وأكرموه، وقالوا: إنّ أهل العراق يأكلون الفاكهة قبل الطعام، وأهل الشام يأكلونها بعد الطعام، فماذا تأمر؟ قال: ذا كانت المسألة محلّ خلاف فإنّا نعمل بالاحتياط؛ نأكلها قبل الطعام وبعده. وقد أرّخ عام حجّه السيد محمد زيني البغدادي في ديوانه وذلك عام ١٢٠٤هـ فقال:

فجاء لمّا جاء تاريخُه: أحسن إذ حجّ وزار الحسين

(الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٥)

من أقوال العلماء فيه

١- قال خاله الشيخ جواد نجف نقلاً عن الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء): "لو أنّ الشيخ حسين في بلاد بعيدة عنا تأتينا أخباره بما نشاهد فيه من صفات الكمال وأنّه يرضي الخالق والمخلوق لم أصدّق بذلك، لكن كيف أصنع بمن أنا مصاحب له من المكتب إلى يومنا هذا". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٤)

٢- وقال صاحب (مفتاح الكرامة): "لولا أنّي من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله لكنت أتمنّى أن أكون من أبناء الشيخ حسين نجف". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٣)

٣- وسمع عن العلامة الشيخ راضي بن محمّد يقول: "كان المترجم عند العلماء برزخاً بين مرتبتي الإمام والعلماء، فكان عندهم فوق العلماء ودون الإمام". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨ هـ، ٣ : ١٦٣)

٤- قال الشيخ النوري في حقّه: "إنّه الحبر الجليل والراسخ في علمي الحديث والتنزيل، الذي لم ير لعبادته وزهده نظير ولا بديل". (النوري الطبرسي، الميرزا حسين، ب ت، ٢ : ١٤٤)

٥- ويقول الشيخ القمي: "كان شيخ أئمة العراق، وقدوة كلّ ولي، اتّفق الكلّ على جلالته وتوثيقه، لم ير له في عصره بديل ولا نظير". (القمي، الشيخ عباس، ١٣٨٥ش : ١٦٢)

٦- قال صاحب (الحصون المنيعة): "كان عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً تقياً نقيّاً زاهداً عابداً ثقةً متواضعاً، أورع أهل زمانه، وأتقى أهل أوانه، لم يكن في عصره كورعه وزهده وتقواه". (الخاقاني، علي، ١٤٠٨هـ، ٣ : ١٦٥، نقلاً عن الحصون المنيعة ٨ : ٢٦٣)

٧- قال السيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة): "كان المترجم فقيهاً ناسكاً زاهداً عابداً أديباً شاعراً، أورع أهل زمانه وأتقاهم". (الأمين، السيد محسن، بت، ٦ : ١٦٧)

٨- وقال الشيخ محمّد أمين الإمامي الخوئي في (مرآة الشرق): "هو من أعلام المتأخّرين، ووجه من فقهائنا الأجلّة المجتهدين، عالم عامل، فقيه بارع فاضل، ورع تقيّ زاهد راشد، كان أديباً شاعراً قوي البضاعة في الشعر والأدب، بحراً زاخراً في الفقه والحديث والدراية والتفسير والكلام وغيرها". (الإمامي الخوئي، محمد أمين، ١٤٢٧ق -٢٠٠٦م، ١ : ٢٠٤)

٩- وقال السيّد البراقي في (اليتيمة الغروية): "إنّه لمقدّس أوّاه وورع، لم يخالط صفوه شائبة الخدش الاشتباه، علاّمة حَبر، وفهّامة بَر، عنه في العلم يُروى، وبه يُتحدّث في القضاء والفتوى". (البراقي النجفي، ١٤٣٠ق- ٢٠٠٩م : ٣٠٠)

١٠- وقال الشيخ محمّد مهدي السماوي في (الطليعة): "كان فاضلاً، مشاركاً بالعلوم، فقيهاً ناسكاً مقدّساً... ذا كرامات باهرة... وكان أديباً شاعراً لم ينظم إلّا في الأئمة (عليهم‌السلام)". (السماوي، الشيخ محمّد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١ : ١٧٩)

١١- بل قال الشيخ محمّد هادي الأميني: وكان عند العلماء والفقهاء فوق منزلة العلماء، ودون منزلة الإمام. (الأميني، محمد هادي، ١٩٦٤م : ١٢٦٧)

جـ-شاعريته

لا شك ولا شبهة في أنّ الشيخ حسين نجف في طليعة الشعراء الفقهاء والفقهاء الشعراء، وتمرّ عليك كلمات في ثناياها تصريح الأعلام بشاعريته وتفوّقه في الأدب إلى جانب علمه وفقاهته. قال الخاقاني: "وشعره كما يظهر من ديوانه متين التركيب، قويّ الانسجام، رصين الديباجة، مَرِن اللفظ، قد وازن فيه بين اللفظ والمعنى على الأكثر". (الخاقاني، ١٤٠٨ هـ، ٣: ١٦٦)

وقال محمد هادي الأميني: "له ديوان شعر في أهل البيت (عليهم السلام) من الشعر الجيد المتين. وقد اعترف الجميع بتقواه ونسكه وورعه وفضله وأدبه،.. وهو أديب كبير خضعت له أعناق الشعراء الأماثل". (الأميني، محمد هادي، ١٩٦٤م : ١٢٦٧)، وقال الشيخ محمّد مهدي السماوي في (الطليعة): "كان فاضلاً، مشاركاً بالعلوم، فقيهاً ناسكاً مقدّساً... ذا كرامات باهرة... وكان أديباً شاعراً لم ينظم إلّا في الأئمة (عليهم‌السلام)" . (السماوي، الشيخ محمد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١ : ١٧٩)

وقال الشيخ محمّد أمين الإمامي الخوئي في (مرآة الشرق): "هو من أعلام المتأخّرين، ووجه من فقهائنا الأجلّة المجتهدين، عالم عامل، فقيه بارع فاضل، ورع تقيّ زاهد راشد، كان أديباً شاعراً قوي البضاعة في الشعر والأدب، بحراً زاخراً في الفقه والحديث والدراية والتفسير والكلام وغيرها". (الإمامي الخوئي، محمّد أمين، ١٤٢٧ق -٢٠٠٦م، ١ : ٢٠٤)

خصائص شعره:

الشعر عند الشيخ حسين من الطبيعة والسجية لا يوجد فيه تكلف ولا صنعة، فهو شاعر لا يتكلّف نظم الشعر بل يُجري الكلمات على لسانه بشكل عفوي وتلقائي؛ حين تنفتح قريحته المبدعة لتصور المشاعر والأحاسيس والمعاني التي لا تلتقط إلّا بعدسة الشاعر الفقيه الفنية العلمية. وإذا كان الشاعر يرى مالا يراه غيره من الناس، فهذا يدل على أنّ طبيعة الشاعر وسجيّته تختلف اختلافاً بيّناً وجليّاًعن طبائع غيره وهو بسبب قدراته المتميزة واستعداده الذي يزاوج بين الفطرة والعلم، والرقّة والفقه، والتدين ودماثة الخلق، وإدراكه العميق، وطيب الروح.

ومن الطبيعي أن تكون هذه القدرات الموجودة لدى الشاعر أساساً لبلورة الشاعرية الهادفة إلّا انّها بحدّ ذاتها غير قادرة على أن تترجم الصور والأخيلة إلى ألفاظ ذات لمحات شعرية مادام الشاعر لا تتوفر لديه آليات بيانية تساعده على أن ينقل الأفكار من عالم الذهن والخيال إلى عالم الألفاظ والكلمات. وإذا كانت الشاعرية نتيجة المواهب الفطرية البحتة فإنّ الآلية البيانية لا تحصل إلّا بالاكتساب وعن طريق الثقافة الواعية والتّمرّس بالألفاظ النبوية، والسيطرة التامة على أساليب الأحاديث الواردة عن المعصومين. وقد تحققت كلّ الآلات عند الشيخ حسين نجف بنبوغه الشعري، ونشأته الأدبية في بيئة النجف الشعرية، واتصاله الدائم بالشعراء المشاهير وأعلام الفكر والأدب، ومطالعته ودراسته في مجال الشعر والأدب والأصول والفقه والتأريخ والعقيدة والكلام.

ولا يخفى علينا أنّ لبيئة النجف الأدبية والشعرية أثراً جليّاً في تكوين شاعرية الشيخ حسين نجف وشخصيته الأدبية، تلك البيئة التي خَرَّجت ولا تزال تخرّج المشاهير من الشعراء والأدباء النوابغ والمفكرين ممن تزخر العربية وتفخر ببنات أفكارهم وحصيلة آرائهم ونتاجات أعمالهم القيّمة. وفي ظل هذه الظروف نمت شاعرية الشيخ حسين نجف، وأخذت مسيرها محو السمو والرقي والتألق في سماء العلم والأدب. وهكذا أخذ الشاعر مكانته ومنزلته في الأوساط الأدبية في العراق واحتل مكانة راقية وشامخة بين المشاهير الأدباء والمفكرين من بني عصره. أضف إلى ذلك النزعة التقدّسية عنده، والتي أغنت عواطفه وصوره الشعرية لتذهب بعيداً في أغوار العلوم وأسرارها.

والقارئ لديوان الشيخ حسين نجف وشعره يقف عند بدائع ودرر تبين عن شاعريته الفذة، ومنزلته الأدبية الرفيعة، وهذه كلها تدل على نضجه الفكري، وسلامته في الرأي، وقوته في الأداء، وانتقائه المتميز للألفاظ. وإذا أردنا أن نشير على عجالة إلى أهمّ العوامل التي أسهمت في بناء شخصية الشيخ حسين نجف الشعرية، بعد الفراغ عن تكامل شخصيته العلمية والدينية ورصانتها، فإنّ عمدة العوامل هي:

١ . المحيط

لا شك أنّ للمحيط أثره الأكبر في بلورة الشاعرية وتحديد معالم الأدب والشعر لدى الشاعر، فلبيئة النجف الأشرف أهمية عظيمة في معتقد الشاعر وأفكاره، ونرى تأثير البيئة التي عاش فيها على أشعاره واضحاً للعيان؛ خاصة فيما يتعلق باعتقاده وولائه لأهل بيت الرسول (عليهم السلام) وحبّه لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، والبراءة من أعدائه.

٢ . العقيدة:

إنّ للعقيدة الدينية مكانة خاصة في شعر الشيخ حسين نجف، فقد اهتم الشاعر في أسلوبه الأدبي وإلى جانب الاهتمام بالبعد العقائدي اهتماماً كبيراً يهيمن على جميع نتاجه الأدبي الشعري، وقد تشكّلَ هذا الاهتمام من الشاعر اتجاهاً واضحاً وجليّاً في مسيرته الشعرية، فقد دأب الشيخ على أن يكون ملتزماً، وحرص على توظيف أدبه في خدمة الدين ونشر الثقافة الاسلامية المتمثّلة بمبادئ الرسالة المحمّدية، ومعارف أهل بيته (عليهم السلام). ومن المشهور أن التزام الشيخ حسين نجف في أدبه التزام ديني واعتقادي قبل أن يكون أدبياً، فقد عرف الشيخ بتقواه وتعيش التقوى والورع في جميع مواطن حياته ودوائر علاقاته مع الآخرين.. وأيضا اشتهر بحسن العبادة والخشوع.

وتتجسّد العقيدة الدينية في شعر الشيخ حسين نجف عن طريق رؤيته الواضحة ومعرفته الدقيقة للدين الإسلامي، فهو يعرف جيداً كيف يلقي الضوء على العقائد الإسلامية، وقد أجاد أن يصوّر المعتقدات الإسلامية في أشعاره من الزاوية التي يجب أن تصوَّر. ومن خصائص الصورة التي بدأ الشاعر أن يرسمها في شعر العقيدة أنه عندما يتطرّق إلى موضوع في هذا السياق، فإنّه يتمسك بأدلّة قويّة ويعتمد على المقدّمات التي هي في الغالب ضرورية لبسط موضوعه وفهم الفحوى، إذ يفي بالغرض ويذكر البراهين والحجج التي يمكن الاستناد إليها للوصول إلى الحقيقة المنشودة، والهدف الذي من أجله أنشأ قصيدته.

فمثلا عندما يتناول الشيخ حسين نجف موضوع ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يذكر في بداية كلامه مقدمات في مناقب الإمام وفضائله:

لِعَلـــــيٍّ مَناقـــــبٌ لا تُضـــــاهَى لا نَبِـــــيٌّ وَلا وَصِـــــيٌّ حَواهـــــا

مَـــنْ تَـــرَى فـــي الـــوَرَى يُضـــاهِي عَلِيّـــاً أَيُضـــاهَى فَتـــىً بـــهِ اللَّهُ بـــاهى ؟!

ومن بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى إثبات الولاية للإمام (عليه السلام) ويستدلّ في ذلك بالحجج الدامغة والبراهين الواضحة ويستشهد بآيات الله تبارك وتعالى:

أَنْبَـــــأَتْ آيَـــــةُ التَّباهُـــــلِ عَنْـــــهُ فَٱسْـــأَلِ العـــارِفِينَ مِمَّـــنْ تَلاهـــا[1]

وَالْكِتـــــابُ الْعَزِيـــــزُ شـــــاهِدُ صِـــــدْقٍ فَـــٱرْعَ آياتِـــهِ كَمَـــنْ قَـــد رَعاهـــا

وبهذا تكون العقيدة الإسلامية ممثّلة في شعر الشيخ حسين نجف بأوضح الصور وأتم المظاهر ممّا لا يدع مجالاً للشك في صدق الشاعر وإخلاصه تجاه ما يدين به وعقيدته التي يحرص على أدائها بأفضل وأكمل ما يستطيع.

كان –قدس سره– أديباً وشاعراً لم ينظم إلّا في النبي والأئمّة (عليهم‌السلام)، وهذا النوع من الشعر وإن كان لا يدلّ على قدرات الشاعر الفنية، لكنّه يدل على استطاعة توليد المعاني وإعادة تركيب المقولات، وهذا ما نجده في مدائح أهل البيت (عليهم‌السلام) التي أوقف عليها المترجم نشاطه الشعري.

الخصائص الفنية والموضوعية:

١- سهولة البيان والألفاظ:

قد اتّجه الشاعر النجفي في لغته التعبيرية وأساليبه البيانية إلى اختيار كلمات بسيطة ومفردات شائعة سهلة الفهم وسريعة التبادر إلى الذهن.

وقد سار الشاعر في هذا الاتجاه في كل المواضيع التي تطرق إليها.

٢- المحسنات البديعية :

لا يعمد الشاعر إلى ذكر المحسّنات اللفظية والمعنوية التي تستعمل غالباً لتجميل الكلام وتزيينه، وهذا أمر طبيعي في شعر العلماء؛ إذ تولّى الشاعر سرد التأريخ الإسلامي وتسجيل الأحداث والوقائع، وفي مثل هذا لا مجال لذكر وجوه التحسين البديعية إلا أن تأتي بشكل عفوي. ومن هنا نجد في شعره بعض تلك المحسنات التي لم يتكلّف الشاعر فرضها على نظمه، منها الجناس بين «يَجْسُر» و«جِسْر» في البيت الآتي:

فَـإِبْلِيسُ لَـمْ يَجْسُـرْ عَلَـى الآلِ فـي الأَذَى وَلكِـــنْ هُمـــا للظَّـــالِمِينَ لَهُـــمْ جِسْـــرُ

والجناس بين «حَجَر» و «حِجْر» في البيت الآتي:

وَلَـــــوْلاهُمُ لَـــــمْ يَخْلُـــــقِ اللَّهُ بَيْتَـــــهُ وَلا حَجَـــرٌ فـــي الكَـــوْنِ كـــانَ وَلا حِجْـــرُ

وإلى جانب هذه المحسنات البديعية يمكن أن نضيف بعض الأساليب التي تطرّق إليها الشاعر في عدّة مواقف من ديوانه، مثل اقتباس شيءٍ من القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو

[1] إشارة إلى آية التباهل، وهي الآية ٦١ من سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

الكلام المأثور عن أهل بيت الرسول (عليهم السلام). منه ما اقتبسه من القرآن الكريم في البيت الآتي:

تَـــراهُمْ حَصِـــيداً خامِـــدِينَ كَـــأَنَّهُمْ مِـنَ النَّخْـلِ أَعْجـازٌ عَلَيْهـا مَضَـى دَهْـرُ

إذ أفاد هنا من قوله تعالى في الآية ١٥ من سورة الأنبياء: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدا خَامِدِينَ﴾، وقوله تعالى في الآية ٧ من سورة الحاقة: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

٣- أصالة الوزن والقافية:

لقد ظل الشعراء النجفيون -ومن بينهم الشيخ حسين نجف التبريزي- محافظين على البحور الشعرية المعروفة ينظمون فيها قصائدهم. ولعلّ السبب في هذا الاختيار يرجع إلى الثقافة العربية الأصيلة التي نهل شعراء النجف منها، ونمّوا قرائحهم بنتاجها الرائع وآثارها الجليلة، حتى صار من المفروض لدى الشاعر النجفي أن يعطي هذه اللغةَ حقَّها ويحافظ على صنعها الجميل. وتجدر الإشارة إلى أنّ الشاعر قد استخدم البحور الأكثر شيوعاً واستحكاماً في اللغة العربية كالطويل والوافر والكامل والبسيط والخفيف.

٤- براعة الاساليب:

للشيخ حسين نفسه الخاص وأسلوبه المتميّز والخاصّ في لغته الشعرية التي تتّسم بوضوح المعاني، وشفّافيّة المفاهيم، وتسلسل الأفكار، وتماسك وتضامّ الألفاظ، وقوّة ورصانة التراكيب. ومن هذه الخصائص أنّ الشاعر قد تعمّد إلى إيراد المفاهيم والمضامين بشكل واضح وشفاف بحيث يسهل على القارئ استيعابها وفهمها بسهولة وبلا عناء. فلو أخذنا مثلا القصيدة الأولى التي نظمها الشاعر في مدح أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، لتجسد أمامنا ما للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من خصائص ومناقب بكل وضوح وشفافية.

وهناك خصوصية أخرى تظهر بوضوح في أسلوب الشاعر، وهي حسن اختياره للوزن والموسيقى الشعرية في المناسبات المختلفة، فعندما يتطلّب الموقف استخدام صور محزنة كتصوير مصائب الحسين (عليه السلام) وما عاناه مثلاً، يعمد الشاعر إلى الاعتماد على الأوزان والقوافي الشديدة الوقع على الأسماع، والتي لها تأثير كبير في النفوس، تؤدّي الغرض وتعطي الموضوع حقّه من التعظيم، فالشاعر يستخدم لهذا الغرض بحر الكامل ويقول:

خَطْـبٌ تَـذِلُّ لَـهُ الخُطُـوبُ وَتَخْضَـعُ وَأَسـىً تَـذُوبُ لَـهُ القُلُـوبُ وَتَجْـزَعُ

اللَّهُ أَكْبَـرُ يـا لَـهُ مِـنْ فـادِحٍ مِنْـهُ الجِبـالُ الرَّاسِـياتُ تَضَعْضَـعُ

٥- ديوانه بمنزلة موسوعة عقائدية:

والذي يطالعنا واضحاً في مجال العقيدة هو تأكيد الشاعر في أكثر من شعر له على أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله من دون أهله الباقين، فهو يقول مادحاً الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومشيراً إلى وصايته في البيت الثاني من القصيدة الأولى:

رُتْبَـــةٌ نَالَهـــا الوَصِـــيُّ عَلِـــيٌ لَـــمْ تَـــرُمْ أَنْ تَنالَهـــا أَنْبِياهـــا

ويذكر نهي النبيّ عائشة عن قتاله (عليه السلام) مخاطباً إيّاه بالوصاية ويقول:

قَـــدْ نَهاهـــا النَّبِـــيُّ عَمَّـــا أَتَتْـــهُ مِـــنْ قِتـــالِ الوَصِـــيِّ فِيمـــا نَهاهـــا

ويقول مادحاً الإمام (عليه السلام) في القصيدة العاشرة:

وَزادَ عُلُـــوّاً فِـــي عُـــلاهُ وَرِفْعَـــةً بِـــأَنْ خَصَّـــهُ مِـــنْ بَيْـــنِهِمْ بِالوَصِـــيَّةِ

ويشير إلى وصايته (عليه السلام) في القصيدة ١٣ ويقول:

مُحَمَّـــدُ وَالوَصِـــيُّ لَـــهُ عَلِـــيٌ وَفـــاطِمُ وَالبَنُـــونَ الطَّاهِرُونـــا

ويقول مشيراً إلى وصايته (عليه السلام) في القصيدة ١٩:

إذا مـــا ضِـــقْتُ مِـــنْ هَـــمٍّ دَخِيـــلٍ جَعَلْـــتُ وَســـائِلِي عِنْـــدَ الجَلِيـــلِ

مُحَمَّـــدَ وَالوَصِـــيَّ لَـــهُ عَلِيّـــاً وَفَاطِمَـــةً وَأَبْنـــاءَ البَتُـــولِ

فالوصاية لأمير المؤمنين (عليه السلام) عند شاعرنا من الاعتقادات التي يرسلها إرسال المسلّمات، ويؤمن بها إيماناً مطلقاً ينساب من قلبه على لسانه. وممّا نجده من الاعتقادات المسلّمة عند الشاعر هو الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم‌السلام) وحجّيتهم، وفي هذا المجال يقول:

أَقـــامَ رَسُـــولُ اللَّهِ يُوصِـــي بِحَقِّهِـــمْ وأَنَّهُـــمُ مِـــنْ بَعْـــدِهِ لَهُـــمُ الأَمْـــرُ

أَئِمَّـــةُ حَـــقٍّ حُجَّـــةٌ بَعْـــدَ حُجَّـــةٍ وَعِـــدَّتُهُمْ إِثْنـــانِ بَعْـــدَهُما عَشْـــرُ

وفي هذا الصدد يستخدم الشاعر الجمل القرآنية والأحاديث المروية في شأن علي وأئمّة الحقّ من بعده (عليهم‌السلام) على نحو التضمين والاقتباس، فمن أمثلة التضمين في شعره قوله:

"الْيَـــوْمَ أَكْمَلْـــتُ لَكُـــمْ دِيـــنَكُمْ[٢]" نَصَّـــتْ عَلَـــى مـــا كـــانَ وَلَّاهُـــمُ

ومن أمثلة الاقتباس قوله:

أَنْـــتَ عَـــيْنُ الإِلـــهِ تَنْظُـــرُ فِيمـــا يَعْمَـــلُ العـــامِلُونَ فِـــي دُنياهـــا

لِتكـــونَ الرَّقِيـــبَ مـــا دُمْـــتَ فِـــيهِمْ وَتَكُـــونَ الحَسِـــيبَ يَـــومَ جَزاهـــا

[٢] المائدة : ٣ .

وقد اقتبس في البيت الأخير من قوله تعالى في الآية ١١٧ من سورة المائدة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. وهناك شواهد كثيرة من استخدام التضمين والاقتباس في شعر الشيخ حسين نجف التبريزي، نكتفي بما قدمنا النماذج منها.

٦- طول النفس:

وهو يدلُّ على تمكن الشاعر من شاعريته، وذلك ما يُلحظ عن طريق كثرة الأبيات في القصيدة الواحدة؛ إذ إنّ الشاعر المقتدر لا تضطرب دلاؤه، ولا يكدي بمجرَّد قول بضعة أبيات، بل يمضي في شعره متنقّلاً من بيت إلى آخَر في رحلة شعرية طويلة تدلُّ على أن مخزونه الشعري وفير، وأنّ ذخيرته الإبداعية ثرّة. وهذا ما نراه في قصائد الشيخ حسين نجف التبريزي الطويلة.

٧- الإفادة من التشطير والتخميس:

" ممّا شاع بين شعراء النجف، ما يسمّونه التشطير، والتخميس"[٣]. (الموسوي، عبد الصاحب، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م: ٢٦٠) ومن أمثلته ما ورد في ديوان الشيخ حسين نجف التبريزي، حيث تراه يمدح أهل البيت (عليهم‌السلام) مذيّلاً مشطّراً لقصيدة السيّد صادق الأعرجي رحمه الله قائلاً:

"أَنِخْها فَقَدْ وافَتْ بِكَ الغايَةَ القُصْوَى" فَفِيها عِياناً عالَمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَى
تَناهَى بِها المَسْرَى إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلَى "وَحَلَّتْ مَحَلّاً دُونَهُ جَنَّةُ المَأْوَى"
"رَأَتْ رَبْعَ مَنْ تَهْوَى فَأَرْسَتْ خِفافَها" بِأَرْضٍ تَوَدُّ السَّبْعُ فِي أَرْضِها تُطْوَى
تَراءت لِعَيْنَيْها مَرابِعُ وُدِّها "وَأَلْقَتْ يَدَيْها فِي مَرابِعَ مَنْ تَهْوَى"

ويمدحهم (عليهم‌السلام) مخَمّساً قائلاً:

بِقَلْبِي هَوَى المُخْتارِ وَالآلِ قاطِنُ وَبُغْضِي لِمَنْ عاداهُمُ فيهِ كامِنُ
وَحُبِّي لِمَحْوِ الذَّنْبِ عَنِّيَ ضامِنُ "فَلا أَخْتَشِي ذَنْباً لِأَنِّيَ آمِنُ
أَبَعْدَ ٱنْمِحاءِ الذَّنْبِ خَوْفُ لَظاها"؟!

إنّنا نرى فيما يشطّره الشيخ حسين نجف التبريزي وفيما يخمّسه، "رغبة منه في إظهار قدرته، وإثبات موهبته في تلوين الشعر وتنويعه إلى جانب قصائد الشعراء الذين أعجب بهم، فهو إن لم يلجأ لمعارضة تلك القصائد، يلجأ إلى تشطيرها أو تخميسها، وكأنّه بذلك يحقّق تلاحم شاعريته بشاعرية من شطّر شعره أو خمّسه، فيشارك في نسج القصيدة من جديد،

[٣] التشطير هو إضافة شطر إلى شطر من البيت، أي: إضافة عجز إلى صدر أو صدر إلى عجز. والتخميس هو إضافة ثلاثة أشطر على بيت يحتوي على شطرين فتصبح خمسة أشطر ومن شرطها تقديم الأشطر المضافة على الشطرين الأصليين. (راجع: الأوزان الشعرية لمحمّد صادق محمّد الكرباسي: ٦٠٨ – ٦١٠)

بحيث تنسجم سداها ولحمتها بما أضاف إليها فتكون حصيلة عمله كأنّها قصيدة من نفس واحد وروح واحدة، وبذلك يشبع نزعة التنافس المتأصّلة في نفوس الشعراء منذ القدم" (الموسوي، عبد الصاحب، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م: ٢٦٠)، لكنّ الجانب الأكثر وضوحاً عند شاعرنا الفقيه هو انتخابه للنصّ المراد تخميسه أو تشطيره، فهو أقرب إلى محاكاة النصّ والامتزاج به، منه إلى محاكاة الشاعر أو منافسته؛ وذلك لأنّ المضمون عند الشيخ حسين نجف هو المتوخّى وهو الهدف الذي يصبو إليه لا الشاعر القائل للشعر. ومن لطيف المقال أنّ الشيخ حسين نجف خمّس أحد أبيات قصيدته الهائية فقال:

بـــالمولاة لـــي أمـــان وأنـــس يـــومَ لا تـــأمن العقوبـــةَ نفـــسُ
مـــا جنـــى مـــا جنيـــتُ جـــنٌّ وإنـــسُ "ذنبـــي الليـــل والولايـــة شـــمسُ

جعـــــل الله محـــــوه بضـــــياها"

(الأمين، السيد محسن، ب ت، ٦ : ١٦٨)

٨- إحاطته بالأمور التاريخية:

إنّ إحاطة الشيخ حسين نجف بالأمور التأريخية التي ترتبط بأهل البيت، هي إحاطة كاملة، ربّما تفوق حدّ الدّقّة والتصوّر في كثير من الأحيان، إذ لا تفوته شاردة إلّا واقتنصها وجاد بها مُدَلِّلاً على ما يريد قوله، وهو في كلّ ذلك يعتمد على الروايات الصحيحة والتواريخ الموثوقة، مشفوعة بالأدلّة العقلية الممتزجة بصحّة السير التأريخي، ووحدة الحَدَث. فمن نماذج تناوله للتأريخ في شعره، قوله:

سَـــعَيا فِـــي النَّبِـــيِّ أَنْ يَقْتُلُـــوهُ وَلِـــذاكَ الـــدِّبابُ قَـــدْ دَحْرَجاهـــا

وفي هذا البيت إشارة إلى مؤامرة العقبة ودحرجة الدِّباب تحت قوائم ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقوله:

عَلَـى جَمَـلٍ جـاءَتْ إِلَـى البَصْـرَةِ الَّتـي تَجَمَّـعَ فِيهـا الغَـيُّ وَالْغَـدْرُ وَالشَّـرُّ

ففيه إشارة إلى وقعة جمل وما فعلته عائشة، فهو يذكرها بالتفصيل ويلمّ بأطرافها إلماماً تامّاً، حيث يقول:

وَفـــي ذَمِّهـــا لِلسَّـــاكِنِينَ بِأَرْضِـــها أَتَـــتْ فِيـــهِ أَخْبـــارٌ لِمَـــنْ عِنْـــدَهُ خُبْـــرُ
مِـــنَ الجِـــنِّ شَـــيْطانٌ يُسَـــمَّى بِعَسْـــكَرٍ بِشَـــكْلِ بَعِيـــرٍ قَـــدْ أَتَـــاهُمْ وَلَـــمْ يَـــذْرُوا
وَذاكَ ابـنُ كَنْعـانٍ عَلَـى مـا أَتَـتْ بِـهِ الـرْ رِوايَـــةُ نَصّـــاً فِيـــهِ وَالخُبْـــرُ وَالأَثْـــرُ
بِهَوْدَجِهـــا حَـــفَّ الزُّبَيْـــرُ وَطَلْحَـــةٌ وَســـائِرُ مَـــنْ قَـــدْ قـــادَهُ النَّكْـــثُ وَالغَـــدْرُ

ومثل هذه الإشارات والتفصيلات كثير، اكتفينا بنموذجين منها، دالَّين على علمه الواسع وإحاطته الشاملة للحوادث التأريخية والدينية.

٩- المعاني المبتكرة:

لقد امتاز الشيخ حسين نجف بابتكار المعاني –أو قل: اقتناصها من الروايات والأحاديث– وصياغتها في قوالب شعرية رائعة. منها المفاضلة الجميلة التي أجراها بين زيارة الحجّ وزيارة الأئمة (عليهمالسلام) في قوله:

مَشاهِدُهُمْ كَالبَيْتِ بَلْ هُوَ شِبْهُها وَهَيْهاتَ أَنْ تُحْكَى المَشاهِدُ يا عَمْرُو
فَشَتَّانَ ما بَيْنَ الحَجِيجِ وَوَفْدِها لَهُمْ كُلُّ شَهْرٍ وَالحَجِيجُ لَهُمْ شَهْرُ
وَشَتَّانَ ما بَيْنَ الحَجِيجِ وَوَفْدِها لَهُمْ عامُها وَالحَجّ مِنْ شَهْرِها عَشْرُ
وَشَتَّانَ ما بَيْنَ الحَجِيجِ وَوَفْدِها فَإِنَّهُمُ عُشْرٌ وَوُفَّادُهُمْ عُشْرُ

ومنها المعنى المبتكر الذي لم أرَ من سبقه إليه ولا لحقه فيه، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى يُنسي أهل الجنّة مصيبة الحسين (عليه السلام)، ولولا ذلك الإنساء ما تنعّموا بنعيمها؛ قال:

وَيَنْعُمُ أَهْلُ الوُدِّ فِي خُلْدِ جَنَّةٍ وَيُنْسِيهِمُ ذِكْرَ الطُّفُوفِ الَّذِي يَعْرُو
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَنْسُونَها لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَعِيمٌ بِها إِلَّا وَنَغَّصَهُ الذِّكْرُ

ومثله المعنى المبتكر الآخر، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى أَخَّر بعثة النبي صلى الله عليه وآله إلى الأربعين من عمره الشريف، ليبلغ أمير المؤمنين (عليهالسلام) مبلغاً من العمر يستطيع معه حماية النبيّ والدين، ولو لا ذلك لتقدمت بعثة النبي صلى الله عليه وآله، قال في قصيدته الأولى الهائية:

أُخِّرَتْ بِعْثَةُ النَّبِيِّ زَماناً لَمْ تَفُهْ بِالهُدَى إِلَى أَن أَتاها
عَلِمَتْ أَنَّها بِدُونِ عَلِيٍّ لا تَرى قَطُّ مَن يُجِيبُ نِداها
فَعَلِيٌّ بِهِ النُّبُوَّةُ قامَتْ وَٱسْتَقامَتْ وَقامَ فِيهِ بِناها

وكرّر المعنى نفسه في القصيدة الثالثة التائية، فقال:

نُبُوَّةُ عِيسَى وَهْوَ فِي المَهْدِ قَدْ أَتَتْ وَأَحْمَدُ بَعْدَ الأَرْبَعِينَ بِمُدَّةِ
وَذاكَ لِسِرٍّ وَهْوَ أَنَّ قِوامَها عَلِيٌّ فَأَخْفاها لِسِرٍّ وَحِكْمَةِ
إِلَى أَنْ أَتاهُ سَيْفُهُ وَابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ فَأَبْداها وَكانَتْ بِخِفْيَةِ

١٠- تكراره للمعاني :

التكرار ظاهرة في قصائد الشيخ حسين لا نملّ منها، فإن التكرار يغرس المعاني المهمة ويعمّقها ويزيد القناعة بها، خاصة مع التنويع في عرضها.

فمن أمثلة هذا التكرار قوله:

عِلْـمُ مـا كـانَ أَوْ يَكُـونُ لَدَيْـهِ مِـنْ لَـدُنْ بَـدْئِها إِلَـى مُنْتَهاهـا

وقد تطرّق إلى هذا المعنى في رائيته حيث يقول:

عَلِمْـتَ الَّـذي قَـدْ كـانَ أَوْ هُـوَ كـائِنٌ لَـدَى هـذِهِ الـدُّنْيا وَفـي حُكْمِهـا الحَشْـرُ

وفي موضع آخر من نفس القصيدة يكرّر المعنى ويقول:

لَـهُ عِلْـمُ مـا قَـدْ كـانَ أَوْ هُـوَ كـائِنٌ فَـإِنْ لَـمْ يَكُـنْ وَحْيـاً فَـذا النَّكْـتُ والنَّقْـرُ

ومثال آخر قوله:

فَمِـنْ شَـرْطِها بُغْـضُ اللَّـذَيْنِ تَقَـدَّما وَكُـلُّ صَـلاةٍ شَـرْطُ صِـحَّتِها الطُّهْـرُ

وقد كرّر الشاعر هذا المعنى في تائيته حيث يقول:

وَبُغْـضُ الَّـذِي عـاداهُمُ شَـرْطُ حُـبِّهِمْ كَمـا الطُّهْـرُ شَـرْطٌ فِـي صَـلاةِ الفَرِيضَـةِ

وأمثلة التكرار للمعاني في شعر الشيخ حسين نجف التبريزي كثيرة نكتفي بهذين النموذجين منها.

١١- استخدام المصطلحات الفقهية:

قد اعتاد الفقهاء أن يذكروا في شعرهم المصطلحات الفقهية، ومنهم شاعرنا، وسبب الأمر النزعة الدينية لديهم، وذلك مثل قوله:

لِباسُـهُمُ فِيهـا الحَرِيـرُ مُحَلَّـلاً وَشِـرْبُهُمُ فِيهـا الخُمُـورُ وَلا سُـكْرُ

وقد قيّد الشاعر الحرير بكونه محلّلاً لأنّ لبس الحرير لا يجوز للرجال، وهذا لأنّ الشاعر فقيه فالتفت إلى هذه النكتة.

وفي موضع آخر يقول:

فَمِـنْ شَـرْطِها بُغْـضُ اللَّـذَيْنِ تَقَـدَّما وَكُـلُّ صَـلاةٍ شَـرْطُ صِـحَّتِها الطُّهْـرُ

فنلاحظ تأثير الفقه على شعره في هذا البيت، وأنّ المشروط لا يصحّ بدون شرطه.

وكرّر هذا المعنى في القصيدة الثالثة التائية، فقال:

وَبُغْـضُ الَّـذِي عـاداهُمُ شَـرْطُ حُـبِّهِمْ كَمـا الطُّهْـرُ شَـرْطٌ فِـي صَـلاةِ الفَرِيضَـةِ

هذا ونجد الكثير من المصطلحات المنطقية والأصولية داخلة في شعره بشكل لطيف قد لا يحسّه إلّا ذوو الفنّ العارفون بهذه المصطلحات وأبعادها واستعمالاتها.

١٢- استخدام المصطلحات النحوية:

حضور المصطلحات النحوية في الشعر العربي يشكّل ظاهرة لافتة، لاسيما في العصور الإسلامية المتأخرة، وهذه الظاهرة موجودة في شعر شاعرنا أيضاً، فمن ذلك قوله :

فَإِجْمَاعُ أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ مَصْدَرٌ قَدِ اْشْتُقَّ مِنْهُ الكُفْرُ وَالظُّلْمُ وَالشَّرُّ

ففيه تورية جميلة بالمصدر النَّحْوي واشتقاق الصِّيَغ منه.

ومنه قوله:

وَجَاءَ عَلِيٌّ رَافِعاً رَايَةَ الهُدَى فَكَانَ لِجُنْدِ المَرْأَةِ الخَفْضُ وَالكَسْرُ

ففيه ورَّى بالخفض والكسر النحويَّيْنِ عن خفض جُند الجمل وكَسْرِهِ واندحاره، بعد أن قابلهما بالرفع لراية الهدى.

١٣- استخدام الجُمَل الخبرية في شعره أكثر من الجُمَل الإنشائية:

وذلك لأنّه في مقام السرد والإيضاح والاستدلال، فهو في شعره عامّة ينحو منحى السَّرد الذي لا بدّ له من الاعتماد على الجُمَل الخبرية، التي تشكّل زخماً كبيراً في دفع القصيدة بالاتجاه الذي يريده الشاعر، لتثبيت الهدف المتوخّى من الشعر.

١٤- موسوعيّته في طرح العقائد:

والذي لحظناه في شعر الشيخ حسين نجف أنّه يحمل الجمّ الكثير من أفكاره، بل يعكس قسطاً وافراً من آراء الشيعة الإمامية، وإليك بعض ما في شعره من اعتقادات:

١. إنّ علياً هو الإمام والوصيّ، والدليل على الله، والداعي للهدى، وأمين الله، وابن عمّ النبيّ، وصنوه، وجامع كلّ خصال الخير ووو ...

٢. إنّ علياً وليّ المؤمنين، وقد أنزل الله ذلك في محكمات شرائعه، يعني القرآن.

٣. إنّ علياً من النبيّ بمنزلة هارون من موسى.

٤. إنّ علياً هو الذي قد أنجى به الله سفينة نوح، وقد أنجى به إبراهيم من النار ولظاها، وهو المناجي لموسى عند تكليمه بوادي طوى، وهو الذي قد توسّل به عيسى عند آياته، وباسمه قد تبدّل حزن يعقوب إلى السرور، وبه خرج يوسف من الجبّ، ويونس من بطن الحوت.

٥. إنّ علياً فارس النبيّ وبطل كلّ الشدائد والأزمات.

٦. إنّ أهل بيت النبي (عليهم‌السلام) ملجأ العباد، وهم حجّة الله على الخلق، والعروة الوثقى، وحبّهم وبغض أعدائهم ماحي الذنوب.

٧. إنّ القائم المرتجى يقوم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

إلى غيرها من العشرات بل المئات من العقائد الحقّة التي يستطيع القارئ اللبيب أن يقرأها عن طريق أشعار الشيخ حسين نجف، فشعره بحقٍ وبلا مبالغة يُعدُّ موسوعة عقائدية رائعة، فيها عيون مطالب التولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعداء الله.

١٥- التجديد والابداع:

ونعني بالتجديد، التجديد في اللغات والأفكار، لا التجديد في الأوزان والقوافي. فالشاعر كما يستوضح شعره شاعر يحافظ على الأشكال الموروثة للشعر والقوالب القديمة للنظم أشدّ المحافظة، وهو من هذا الجانب يعدّ شاعراً تقليديّاً أو كما يسمّى اليوم (الشاعر الكلاسيكي) يسلك في نظمه مسلك أسلافه السابقين. أما التجديد المقصود في شعر الشيخ حسين فمنه التجديد في للغة الشعر وأسلوب البيان، فقد كان الشاعر وبالمراجعة إلى المنابع الصافية والخالصة للغة العربية إلى بيان شعري متميّز يتّسم بسلامة ونقاء لغتها، والنصاعة في العبارات ووضوحها، ويتّصف بالتخلّص من الاستخدامات البديعية المسرفة إلا ما يأتي عفويّاً وتلقائيّاً. وقد عمد الشاعر إلى أن تكون لغته الشعرية ميسّرة، سهلة الفهم، تسلك طريقها إلى قلوب الناس عامّة وخاصّة.

وخلاصة القول أنّ الشاعر قد تمكّن بنتاجه الشعري والأدبي الرائع المتميّز بقوة بنائه ومتانة أسلوبه وجودة بيانه أن يحقّق أهدافه المتعالية التي تتمثّل في إحياء التراث الإسلامي والحفاظ على القيم الإسلامية السامية.

النتائج: وأخيراً قد خرج البحث بعدد من النتائج وهي:

١-الشيخ حسين نجف التبريزي النجفي فقيه شيعي كانت له مكانة عالية في الشعر، ولم ينظم إلّا في النبيّ وأهل بيته (عليهم‌السلام).

٢-الشعر عند الشيخ حسين من الطبيعة والسجية لا يوجد فيه تكلف ولا صنعة، فهو شاعر لا يتكلّف نظم الشعر بل يُجري الكلمات على لسانه بشكل عفوي وتلقائي.

٣-إنّ القارئ لديوان الشيخ حسين نجف وشعره يقف عند بدائع ودرر تبين عن شاعريته الفذّة، ومنزلته الأدبية الرفيعة، وهذه كلّها تدلّ على نضجه الفكري، وسلامته في الرأي، وقوّته في الأداء، وانتقائه المتميّز للألفاظ.

٤-إنّ عاطفة الشيخ حسين نجف في أشعاره صادقة لاهبة؛ لأنّها تطابق مع الشعور الحقيقي للأديب نحو موضوعه. ومن يطالع شعره يلاحظ في كثير من أبياته عواطف وانفعالات قوية تتّجه نحو الموضوعات الاعتقادية التي أثّرت في نفسه وانعكست في شعره، وهي نفسها تثير فينا عندما تنتقل إلينا شعوراً صادقاً وعاطفة جيّاشة نحو الموضوع الذي تتحدّث عنه.

٥-قد عمد الشاعر إلى أن تكون لغته الشعرية ميسّرة، سهلة الفهم، تسلك طريقها إلى قلوب الناس عامّة وخاصّة.

المصادر

القرآن الكريم

١. أمين، أحمد (١٩٨٧م)، النقد الأدبي، الطبعة الرابعة، دار الكتب العربي، بيروت.
٢. إسماعيل، عز الدين (١٩٥٥م)، الأدب وفنونه، الطبعة الأولى، دار النشر المصرية – مطبعة الاعتماد، مصر.
٣. آل محبوبه، جعفربن باقر (١٣٥٣ش)، ماضي النجف و حاضرها، صيدا.
٤. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٥. الأميني، محمّد هادي (١٩٦٤م)، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، النجف.
٦. الإمامي الخوئي، محمّد أمين (١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م)، مرآة الشرق؛ موسوعة تراجم أعلام الشيعة الإمامية في القرني الثالث عشر و الرابع عشر، تصحيح وتقديم علي الصدرايي الخوئي، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، الخزانة العالمية للمخطوطات الاسلامية، قم.
٧. الأوردبادي، المجموعة الكبيرة، المخطوطة.
٨. البراقي النجفي (١٤٣٠ق- ٢٠٠٩م)، تاريخ النجف المعروف بـ: اليتيمة الغروية والتحفة النجفية في الأرض المباركة الزّكيّة، تقديم وتحقيق: كامل سلمان الجبورى، دارالمورخ العربي، بيروت.
٩. الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد بن تاويت تطوان.
١٠. حرز الدين، الشيخ محمّد (١٤٠٥هـ)، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، علق عليه محمّد حسين حرزالدين، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.
١١. الخاقاني، علي (١٤٠٨هـ)، شعراء الغري، الطبعة الثانية، مطبعة بهمن، قم.
١٢. السماوي، الشيخ محمّد (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي، بيروت.
١٣. الشاكري، الحاج حسين (١٤١٨هـ)، علي في الكتاب والسنة والأدب، الطبعة الأولى، مراجعة: فرات الأسدي، مطبعة ستاره، طهران.
١٤. ضيف، شوقي (١٩٦٢م)، في النقد الأدبي، طبع دار المعارف، مصر.
١٥. عتيق، عبدالعزيز (١٩٧١م)، في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت.
١٦. القمي، الشيخ عباس (١٣٨٥ش)، الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، تحقيق: باقري البيدهندي، مؤسّسة بوستان كتاب، قم.
١٧. الكرباسى، محمّد صادق محمّد (١٤٣٢هـ ٢٠٢١م)، الأوزان الشعرية (العروض والقافية)، الطبعة الأولى، بيت العلم للنابهين-مكتبة دار علوم القرآن، بيروت-كربلاء.
١٨. المقدسي، أنيس (١٩٨١م)، المختارات السائرة من روائع الشعر العربي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت.
١٩. الموسوي، عبد الصاحب (١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م)، حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٢٠. النورى الطبرسى، الميرزا حسين، دار السلام فيما يتعلق بالرويا والمنام، شركة المعارف الإسلامية، قم.
٢١. اليازجي، كمال (١٩٦١م)، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، طبع دار العلم للملايين.